

حتى أراد السفر إلى الجنوب لانتقاد صناعة الحرير في تلك الجهات ،
ولما أشفق عليه أعوانه وأصدقائه صاح فيهم يقول : ان من
الاجرام القعود عن تخليص الدود من الوباء بينما الكثيرون من
أربابه يطلبون القوت فلا يجدونه .

وعرفت فرنسا لبجائتها هذا الفضل العظيم فأكبرته ، وجاء
دوماس الشيخ إلى تلميذه السابق يثنى عليه ويمدح قدرته . ولم يبق
في البلاد من ينكر فضله إلا نفر قليل ممن كانوا لا يزالون على
حقدهم ، وحبهم للحط من كرامة الغير والانتقاص من قدر أعمالهم .
ولكن هذا لم يثن من عزم باستير أو يثبط همته ، فسافر
إلى إيطاليا والنمسا وألمانيا لتطبيق طريقته ، ولمعونة من سأله
المعونة في تلك البلاد .

٧ - الحرب السبعينية وتأثيرها في باستير

اعتزازه بقوميته — وبحوثه في البيرة

عاد باستير إلى فرنسا مساء إعلان الحرب بينهما وبين الألمان ،
أى في ١٩ يوليه سنة ١٨٧٠ . وقد عرفنا كيف كان يحب وطنه ،
ويعمل ما في استطاعته لإعلان شأنه وتثبيت مجده . لذلك كان
حزنه شديداً عند ما علم بهزيمة بلاده ، وأثر فيه ذلك تأثيراً سيئاً

فعاوده المرض وضعفت صحته ولم يقو على العمل . وزاد في البلوى ما أصاب والده وفلذة كبده في الحرب حتى كاد يقضى عليه ، فسافر والده من أجله سافراً بعيداً ، تحمل فيه متاعب عديدة ، واستمر يعنى به ويواسيه حتى استرد صحته وقوته .

ولما أصبح حصار باريس قاب قوسين أو أدنى ، نصحه أصدقاؤه بمغادرتها ، فغادرها بعد امتناع ولزم بيته في أربوا . وقد حدث من بامتير في ذلك الوقت ما يدل بوضوح على صدق وطنيته وغيرته على بلاده ، وعلى أنها كانت عنده فوق كل اعتبار . ذلك ان جامعة بون Bonn الألمانية كانت قد منحته درجة الدكتوراه الفخرية ، فلما رأى ما كان من عمل ألمانيا نحو بلاده ، لم يقبل أن يحتفظ بالدكتوراه ، ولا بدبلومها ، مع اعترافه بأن هذا التكريم الذي ناله من الخارج كان مصدر فخر وسرور له . فكتب إلى الجامعة خطاباً تاريخياً يرد به اليها دبلومها ، ويعبر فيه عن مقدار سخطه . فلما قيل له ان الدبلوم قد أعطيت له لمكانته العلمية ، وأن العلم ليس له وطن ، قال هذا صحيح ، ولكن العالم يجب أن يكون له وطن .

ولم تكن هذه المرة الوحيدة التي أرادت فيها ألمانيا ، أن تكرمه إذ حدث في سنواته الأخيرة ان رأت أكاديمية العلوم ببرلين أن تكرم بعض مشاهير العلماء والباحثين ، فأوصت أن يمنحهم

الأمبراطور أوسمة تليق بمقامهم ومكانتهم العلمية . وكان باستير
من هؤلاء ، ولكن الأكاديمية خشيت أن يرفض هذا التكريم ،
كما رفض الاحتفاظ بالديكتوراه من قبل ، فرأت أن تأخذ
رأيه أولاً فيما تريد ، فجاءها الرد الذي كانت تتوقعه .

وعرض عليه الطليان أن يدير مصنعا للحريير في بلادهم فتردد ،
ثم عرضوا عليه مركز الاستاذية في جامعة بيزا Pisa ، وهو مركز
له مرتب كبير مغر ، فرفض قائلاً « من العار أن أترك بلادى في
محنها ، وأقبل منصبا في بلاد أجنبية لأنها تستطيع أن تدفع لى مرتبا
أكبر مما تستطيع بلادى » .

وشمل كرهه كل ما هو ألماني ، حتى لقد وجه بحوثه إلى مناهضة
صناعة ألمانية ، فعمل جهده لتحسين البيرة الفرنسية لتفوق البيرة
الألمانية . وله في ذلك بحوث قيمة في الناحيتين النظرية والعملية .
ولا جدال في أنه أعان هذه الصناعة في بلاده إعانة كبيرة ، شهد بها
الخارون أنفسهم ، ولكنه مع ذلك لم يستطع أن ينال كل ما تمناه
فيجعل من البيرة الفرنسية مع جودتها نداً للبيرة الألمانية ذائعة
الصيت إلى وقتنا هذا .